الجوانب القوية

نشرنا من مدة فصلاً بعنوان « الجوانب الضعيفة » ذكرنا به الاميال والعواطف والعادات الدنيئة التي تصاحب كبار النفوس فتحط من كراماتهم وتسفل بمقاماتهم ونحن الآن نذكر شيئاً عن الجوانب القوية التي تصاحب رجال الشر واولي الاذى والفساد فتكون على شيء من التكفير لسيئاتهم كما كانت تلك الجوانب الضعيفة عوذة لاولئك المحسنين المتفضلين

فلقد خبروا عن رجل ارمني يدعى يوركي ينى وهو الذي ارتكب جرائم القتل الفظيعة في مدينة لندن من وقت قصير انه كان من اشد الرجال فتكا واستبسالاً حتى انه شهد بارتكابه القتل عدة مرات على افظع صورة ولكنه مع ذلك كان ذا عاطفة شريفة وهي الاحسان والرفق بالضعفاء حتى ان هذا الجانب كان يشتد به احياناً فيبكي بكاء شديداً حين يرى احداً يذبح امامه دجاجة

ورووا عن بريسكي القاتل المشهور الذي لطخ يديه باشرف دم في بلاد ايطاليا انه مع كثرة تعمده للاذى واقتحامه المخاطر في سبيله كان شديد العطف على امه الكبيرة وافر الحنو عليها مخصصاً كل اموالها وجهده في سبيل رضاها حتى لقد اعطى اخته مرة كل ما كان قد وفره في حياته وهو ٧٠٠ فرنك

وذكروا عن سفاك آخر يدعى لوكير انه حين اخذوه ليقتلوه قال لهم

اني ارتجف اذا رأيت حرباء واذا شاهدت غلاماً حزيناً واما هؤلاء الرجال فاقسو عليهم وهذه المقصلة فاضحك منها

ولقد ذكروا عن احد السفاكين المشهورين في مدينة اكس بفرنسا انه حير قضاتها بانسانيته وما كان شائعاً عن معروفه فانهم خبروا عنه انه كان بين اخوانه والمشتغلين معه على غاية ما يرجى من الوداعة وحسن الصحبة ووفور العقل حتى انه كان مشتغلاً باحد الاختراعات واتمه قبل ان يصير مجرماً . وذكروا عنه ان دخله اليومي كان ٤ فرنكات فقط ولكنه كان ينفقها جميعها على امرأته وولديه وكان ابوه قد كبر ولكنه كان يشتغل على كبره فمنعه عن العمل براً به واخذ يجتهد للانفاق عليه ولكنه مع كبر هذا الجانب في نفسه قد ارتكب جريمة فظيعة قضت بسجنه كل حياته مشتغلاً بالاشغال الشاقة .

وقد حدثوا عن رجل اطلق الديناميت في احدى الساحات بلندن ليقتل بذلك من كان يتعمد قتلهم مع سواهم دون تثبت انه بعد ان قتل هو نفسه في ذلك الانفجار جاءت الى المحكمة امرأة عجوز فذكرت ان هذا الرجل لما رآها كبيرة مسنة اشفق عليها فجاء بها الى منزله وكان يكرمها اكرام والدته ويحنو عليها حنواً كبيراً

ورووا عن رجل في نيويورك اطلق كرة من الديناميت فقتل بها جماعة من رجال البوليس انه كان صانعاً حاذقاً وكان فقيراً ولكنه كان يجتهد في التوفير لمساعدة كل فقير يبدو له ومداواة كل مريض يراه وقد كان شديد البر والعطف على امرأته حتى انها دامت بعد قتله ست عشرة سنة لا تخلع اثواب الحداد حزناً عليه ومجازاة لفضله . وذكروا عن امرأة في بطرسبرج

انها كانت تحاول ارتكاب اشد الجرائم وافظعها باطلاقها الديناميت على احد العظماء ولكن شدة اشفاقها قد قضى باضطرابها حين محاولتها ذلك فعرف امرها وقبض عليها ثم سئلت في المحكمة عن السبب الذي دعا لاضطرابها وانكشاف امرها فقالت انها كانت تخشى ان ينفجر الديناميت بين ارجل الخيل فتقتل او تجرح او يصاب السائق بضرر ولذلك كانت تحتال لان تصيب الكرة من تريده فقط دون سواه

هذا طرف يسير اثبتته احدى الصحف للدلالة على بعض الاخلاق الكريمة التي تصاحب ارباب الشر والاذى وهو ما يرد في الغالب من الجنون او الى التطرف وهو احد فنونه

وقد ذكرت الجريدة غير هذا اقوالاً وجدت في غاية السداد والحكمة كان يلقيها المجرمون في المحاكم معتذرين بها عن اذاهم وهي كلها تدل على اصل جيد لم تثقفه التربية القويمة ولا هذبته الرياضة الادبية

الا ان الذي يتفقد صنوف الناس يجد اكثرهم لا يخلون من هذه المباينات الشديدة في اخلاقهم وعاداتهم ومعتقداتهم فترى الواحد منهم اذا كان مسلماً مثلاً لا يأكل لحم الخنزير ولو مات جوعا ولكنك تراه يشرب الخمر ويقامر ويسرق ويستحل كل ما حرم الله ونهت عنه الشرائع وتراه اذا كان مسيحياً يقطع الطرق ويقتل المارة ويسلبهم ولكنه لا يأكل اللحم يوم الاربعاء والجمعة وترى بعضهم يسرقون اموال اليتامى وغزل الايامى ولا يستحلون سرقة مكنسة من كنيسة وهذا من غرائب الاخلاق والمعتقدات ولله في خلقه شؤون